تفريغ محاضرة

الجزاء من جنس العمل

رواء الاثنين | د. هند القحطاني

من نحن ؟

نحن مجموعةٌ نهلنا من معين محاضرات د. هند بنت حسن القحطاني، التي هطلت بروائها على قلوب السامعين، ولما شهدنا ذلك الهطل غيثا مُغيثا مريئا، عملنا بكلّ جدٍ وحُبٍ على جمع المحتوى وتنظيمهِ ونشرهِ ليسيلَ عَذبًا إلى قلوبكم

نسعدُ بملاحظاتكم واستفساراتكم على البريد الإلكتروني:
info@rawaa.org

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

أما بعد:

مدخل للقاعدة:

نتحدث اليوم عن موضوع مهم **جدًا**، وهي قاعدة من القواعد وسنة من سنن الكون، لا يمكن أن يتخلف عنها إنسان، ولا سنة من سنن الكون إلا تمر على هذه **القاعدة الكونية**، وسأبدؤها بالقصة المعروفة لخديجة رضي الله عنها

حينما جاءها النبي عليه الصلاة والسلام، بعد أن نزل عليه جبريل-عليه السلام-، وحينما نزل جبريل لأول مرة كان النبي عليه الصلاة والسلام لأول مرة يرى ملك من الملائكة، وهذا الملك له أجنحة، ستمئة ألف جناح وفيه أشياء معلقة، له نور عظيم، يملأ جبريل ما بين السماء والأرض، فكان النبي صلى الله عليه وسلّم أول مرة ينظر إلى شيء بهذا الحجم وبهذا الشكل، وجاء جبريل وقال له: يا محمد اقرأ ... **-القصة المعروفة-، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: ما أنا بقارئ، قال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ - يعني أنا ما أعرف أقرأ-، فيقول له: اقرأ إلى أن غطّه، فكان جبريل كأنه يضمه، ثم نزلت السورة الأولى:**

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

[العلق:1].[أخرجه البخاري مطولًا، صحيح]

وكان في ذلك اللقاء أن قال له جبريل: يا محمد إنك أنت النبي وأنا جبريل، هذا كان **أول** لقاء بين النبي عليه الصلاة والسلام وجبريل عليه السلام،

وكأنّه يعرّفه بسبب حصول كل الموقف.

ثم رقي جبريل إلى السماء، وكأنه في لحظة انتهى الموقف، وأُغلق النور وانتهى كل شيء، والنبي عليه الصلاة والسلام يقلب بصره! أينه؟ غير موجود! يطالع السماء لا أثر! إذا ما الذي حصل قبل قليل! أكان حلمًا أم علمًا أم ماذا؟ فعندها كان في حيرة عليه الصلاة والسلام ولا يملك أي فكرة ماذا قد يكون هذا الذي حصل!

رجع النبي عليه الصلاة والسلام إلى خديجة وهو مشدوه، ولأول مرة ينظر إلى هذا الموقف الذي حصل، وقال: يا خديجة أخشى أن يكون قد أصابني شيء! قد يكون بعقلي شيء! رأيت اليوم شيئًا غريبًا! ما أدري ما حصل!

ويقول دثروني دثروني زملوني زملوني، إنسانٌ **مرعوب** يريد أي شيء يحضنه، أو يتدفأ به، لأن النبي عليه الصلاة والسلام خاف أن يكون في عقله شيء من وسوسة الشياطين أو جن من جنّ الجبل أتاه وتأثر، فجاءته خديجة ثبتته قالت: **مه ما لذي حصل؟** فأخبرها النبي عليه الصلاة والسلام بالموقف كله من أوله لآخره، ثم قال: يا خديجة أخشى أن يكون قد أصاب عقلي شيء! أما خديجة رضي الله عنها فلأنها تعرف القاعدة التي سنتكلم عنها اليوم قالت له: "كلا والله لا يخزيك الله أبدًا"

يعني خديجة ما أخذت درسًا من دروس الدين، ولم يسبق أن نزل عليها قرآن، ولا درست شريعة، لكنها تعرف هذه السنة وهذه القاعدة الكونية البسيطة التي كل إنسان يعرفها بفطرته، فقالت: **(كَلَّا أبْشِرْ، فَواللَّهِ، لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا، واللَّهِ، إنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وتُعِينُ علَى نَوائِبِ الحَقِّ)**

[أخرجه مسلم، صحيح]،

أنت صاحب المعروف والذي يفعل هذا كلّه لا يمكن أن يخزيه الله عز وجل، لست أنت يا محمد الذي تتربص به الشياطين أو يصيب عقله شيطان، وأنت قد بلغت الأربعين، السؤال؛ هي كيف كان بمقدورها أن تتكلم بهذه **الثقة**؟ لأنها تعلم أعمال النبي عليه الصلاة والسلام، **صلة رحمه، صدقه، محمد الصادق الأمين الذي يعين على نوائب المعروف، الذي يحمل الكل، يفزع مع الناس، ما يمكن أن يكون هناك إنسان هكذا فيخزيه الله أبدًا. وبالفعل لم يخزه الله، فلم يكن مسّ من الجن وإنما كان هذا أول أمر النبوة.**

أهل المعروف هم أهله في الدنيا والآخرة:

بالمثال السابق تكون قد اتضحت قاعدتنا اليوم، وهي: **أنَّ الجزاء من جنس العمل**، وهذا الذي تحدثَت عنه خديجة: "كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتحمل الكل، وتصل الرحم، وتعين على نوائب الدهر، هو الشيء الذي تعنيه آية مختصرة في القرآن نتلوها دائمًا:

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن:60].

فلا يمكن لإنسان أن يحسن في حياته ثم لا يتوقع أمامه إلا الإحسان،

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن:60].

وقال تعالى: **﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾** [يونس: 26].

فلاحظ أن أول خطوة هي منك أنت: **(للذين أحسنوا)** أنت تحسن، ثم الله عز وجل يحسن لك وزيادة، فهذه الخطوة الأولى التي أنت تقدمها فالله عز وجل **يضاعف** عليها أضعاف مضاعفة من بعدها، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

(أهلُ المَعروفِ في الدُّنيا هُم أهلُ المعروف فِي الْآخِرَةِ، وَأَهْلُ المُنْكَرِ فِي الدُّنيا هُم أهلُ المُنكر في الآخرة)

[أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: صحيح لغيره]

وأهل المعروف في الدنيا يعني الناس الذين عُرفوا **بالمعروف**، الناس أصحاب الخير، كشخص يخطر على بالك فيخطر معه الخير، ويطرأ أمر المعروف وما يطرأ عليك ذنب أو معصية، وفي ناس آخرين تطرأ عليك تقول **استغفر الله**، تتذكر أشياء ما تريد تذكرها فقط من ذكرى شخص واحد.

فهذه **الذكرى** أو هذا الصيت في الدنيا، هو صيت الإنسان في الآخرة، فأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة.

وأهل المنكر الذين غاصوا وغرقوا فيه ولم يريدوا الخروج منه، هم أهل المنكر في الآخرة لأنَّ **الجزاء من جنس العمل**.

يقول الله عز وجل دائمًا في أي آية تحكي عن ثواب الجنة أو عقاب النار دائمًا كلمة وراءها ما يعني: ﴿**جَزَاءً وِفَاقًا**﴾ [النبأ: 26].

فما يمكن أن الله عز وجل يجازي أي إنسان إلا وفاقًا للشيء الذي عمله، فلا تتخيل أن الله لن يعدل أو أن الله سيظلم إنسان ما، لا، هي:

﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** ﴾ [يونس: 26].

إذًا دعونا اليوم نعيش مع هذه القاعدة ونرى كيف أنَّ كل من عمل أمرًا؛ ماذا يمكن أن يقابله في النهاية؟ وهذا مما قد يثير الاستغراب أن يكون الجزاء مشابها جدًا، وحقيقةً هو جنس العمل.

كلّ عمل جزاءه من جنسه:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام في مجموعة من الأحاديث:

- قال:**(مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيه المسلمِ ، تَتَبَّعَ اللّهُ عَوْرَتَه** [أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب]

صحيح أم غير صحيح؟

يقول ابن عمر رضي الله عنه:

(كان في المدينة أقوام لهم عيوب سكتوا عن عيوب الناس فسكت الناس عنهم)

ناس لهم عيوب -لا يوجد إنسان أصلًا **كامل**-، لكنهم سكتوا عن عيوب الناس فلم يعد يتكلم هو في عيوب غيره: "هذه إيش قصدها لما فعلت كذا! وإلا هي إيش؟ إي وهي أصلًا كذا.." ومن قبيل هذا الحديث عن الناس.

ما خاضوا بكلام الناس، ولم يُقيموا المواقف: "والله هذه فعلت كذا، أما تلك فلم يكن معها الحق لما عملت كذا.." تصنيف الناس ونقدهم هذا مخطئ وهذا مصيب. فهي لم تدخل في **إصلاح** ذات بين ولا هي **ستحل** الإشكال، مجرد تنظير للموقف، فيقول عليه الصلاة والسلام: **(....، وكان أُناس ليس لهم عيوب، خاضوا في عيوب الناس فخاضت الناس في عيوبهم)** أي: إنسان لا تُذكر عيوبه، والناس لا تعرفها لكن لما خاض في عيوب الآخرين؛ فقام يقيّم هذا ويحط من قدر هذا! قال: **"فخاضت الناس في عيوبهم"** فأخرج الناس عيوبهم من تحت الأرض لأن الجزاء من جنس العمل فـ **(مَن تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيه المسلمِ ، تَتَبَّعَ اللّهُ عَوْرَتَه)**

[أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب]،

و(مَن ضارَّ ضارَّ اللّهُ به، ومن شاقَّ شقَّ اللّهُ عليهِ)

[أخرجه الترمذي، وقال: حسن غريب].

وهذا الستر قد يكون حقيقي! فنجد من يغسّل الموتى ودقتهم في ستر الميت -مع أنه ميت لا يشعر- مع ذلك أمر النبي-صلى الله عليه وسلم- بالتحري لعدم كشف العورات, وذكر جزاءً لمن يكفّن الموتى أن يُكسى من السندس, فمجرد أنك **تستر** على مسلم كان الجزاء أن كساه الله من السندس الأخضر ، هذا فقط خاص في ستر الجنائز، فكيف **بالستر الحقيقي؟** أنك أنت تستر إنسان؟

فأنت إن رأيت أحدهم في موقف أو نقل لك خبر عن موقف أو جاءتك صورة كذا، أو رسالة، من فاعل خير يقول لك: هذا فلان، أو هذي فلانة، في موقف سيء جدًا أو موقف قبيح، وتبدأ الأسئلة، أليس هذا الذي يقال عنه كذا؟ وأليست هذه معكم في كذا؟ طيّب

(من ستر مسلم)؟

إذًا أوقفيها عندك، ولا ترض أن تهتك ستر إنسان لأي سبب

(مَن سترَ مُسلِمًا سترَهُ اللَّهُ في الدُّنيا والآخِرةِ) [أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح].

وهذا الستر من الله سيأتيك في أحوج ما تكون، لأنه لما يكون الجزاء من عند الله عز وجل فالستر ليس فقط في الدنيا, يستره الله كذلك في الأخرة، ولذلك في الحديث، قال عليه الصلاة والسلام: **(فإنِّي قدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا، وإنِّي أَغْفِرُهَا لكَ اليَومَ)** [أخرجه مسلم، صحيح]،

فلا يسمعها أهل الموقف ولا أهل القيامة، فلم يسمع أحد عن ذنوبه لأن الله سترها في الدنيا وسترها عليه في الآخرة، هذا الستر لا يأتي للناس الذين كانوا يخوضون في الناس، والذين ما كانوا أصلًا يتورعون أنهم يهتكون في أعراض الناس، أو تقول: إي جاء الوقت ليعرفوا عن فلان، وليسمعوا، أو هي من أخذت الصورة الفلانية، الآن جاءت الحقيقة...! لا أبدًا.

فـ(من ستر مسلمًا) هذا الستر المادي (ستره الله في الدنيا والآخرة)

والستر ليس ماديًا فقط هناك ستر معنوي،

فممكن هناك من **يخطئ** في كلام أو في تعبير، أو مثلًا لم يعرف يعبّر وفيه ضعف، فأنت حين تأتي وتنقذ الموقف لهذا الإنسان فأنت تستر عليه معنويًا، وتحاول إصلاح خطئه

(ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة).

ولنلاحظ أيضا

- قال :(**ومَن يسَّرَ على مُعسِرٍ، يسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنيا والآخِرةِ)** [أخرجه مسلم، صحيح]

يقول عليه الصلاة والسلام: **(إنَّ رَجُلًا كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ، أتاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فقِيلَ له: هلْ عَمِلْتَ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: ما أعْلَمُ، قيلَ له: انْظُرْ، قالَ: ما أعْلَمُ شيئًا غيرَ أنِّي كُنْتُ أُبايِعُ النَّاسَ في الدُّنْيا وأُجازِيهِمْ، فَأُنْظِرُ المُوسِرَ، وأَتَجاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ، فأدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ)** [أخرجه البخاري، صحيح]. فهنا يقول النبي عليه الصلاة والسلام عن رجل مات، فلما جاءته الملائكة تأخذه ليجازى جنة أو نار، قالوا: هل تذكر خيرًا قط عملته في حياتك؟ في شيء خير أنت سبق وعملته؟ فقال: لا أذكر، ما عندي شيء في حياتي كثير إلا أني **"يعني الشيء الوحيد"** الخصلة الوحيدة الموجودة هي: تجاوزه عن المعسر، وانظروا لأعمال المعروف كيف الله عز وجل لا يضيعها لإنسان؛

لأن الجزاء من جنس العمل

- فقال: لا أذكر أني أعمل خيرًا إلا أني أدين الناس **"يعطيهم أموال"** فإذا جاء وقته فأنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر، فإن كان موسر وعنده مال لكن ما يريد الآن يسدد فأنظره، اذهب استرزق وتعال لاحقًا، وأما المعسر فإذا رأيت أمامي إنسان معسر حقيقي فما أقول له شيء، وإنما أتجاوز عنه، يعني إذا مرت سنة وسنتين وهو ما أدّى دينه أتجاوز عنه، فيقول الله عز وجل لملائكته:

فأنا أحق أن أتجاوز عنه. فالله تجاوز عن هذا الإنسان الذي كانت أخلاقه التجاوز عن الناس، فلاحظوا أن الحق له وأنه كان من الممكن أن يكون هو الإنسان الذي يأخذ الحق لنفسه، وأنه لما أدانهم كان فعله معروفًا، وهو حتى مع **الموسرين** وليس **المعسرين** فقط يتجاوز عنهم، الموسر الذي يملك مالًا وليس لا يريد السداد الآن، فيقول له تجاوزت عنك!

فيقول الله عز وجل: فأنا أحق أن أتجاوز عن عبدي، تجاوزوا عنه، فأدخله الجنة.

قال ﷺ : **(مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ)**[أخرجه مسلم، صحيح]

فمن **نفّس** عن مؤمن كربه، والمؤمن إذا كانت عنده كربة من كرب الدنيا، ولاحظوا الكلمة(من نفَّس) يعني الإنسان لما ينكرب لا يكاد يتنفس، فلما يكون في لحظة كرب وكأنك لا تتنفس، حتى لو كنت مع الناس وتضحك وكأنه لا شيء! لكن في داخلك شيء لا تستطيعه كأن الدنيا ضاقت عليك كأنك تتنفس من خرم إبرة **(فمن نفّس عن مؤمن كربة نفّس الله عنه)** تأملوا الكلمة، ما قال: فرَّج الله عنه، لا، هي نفسها **(نفَّس الله عنه)** كأنه أعاد له النفس، وإعادة النفس هذا في كربة من كرب يوم القيامة، فقد يكون سعي حقيقي أنت سعيته مع أحدهم، سواء هو يعلم بذلك أم لا، تعلم أنه في كرب شديد فتحاول حل مشكلته وتحل المشكلة، **والموقف**، فالذي يفعل هذا وينفّس عن أخيه كربة من كرب الدنيا ،

يكون الجزاء أن ينفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة!

هل هناك مجال للمقارنة! هناك مقارنة بين كربة الدنيا، وكرب يوم القيامة! في الدنيا عندك ألف باب وألف طريقة والذي يفشل اليوم، فالغد موجود، لكن يوم القيامة هو يوم واحد، والجزاء مهول مهول! إما **جنّة** وإما **نار**!

لا بيت تأوي له ولا أسرة تذهب لها، فكرب يوم القيامة لا مجال أصلًا للمقارنة بينه وبين كرب الدنيا، فيكون الجزاء لهذا الإنسان الذي نفّس عن هذا الإنسان الكربة أن ينفّس الله عز وجل عنه كربة من كرب يوم القيامة.

قال ﷺ : **(مَن أقال نادمًا بيعتَه أقال اللهُ عَثْرتَه يومَ القيامةِ)** [أخرجه ابن حبان، وقال الألباني: صحيح]

ماذا يعني من أقال **نادمًا**؟ يعني الذي يسامح. ولاحظوا صار موقف، وأتاك هذا الإنسان نادم أنه فعل، هناك من لا يسامح، وقلوبها لا تقدر، فتقول مثلا: طيب أنا أعتذر، ما كنت أقصد، فيرد: ما كنت تقصد! كيف ما كنت تقصد! لا كنت تقصد.. طيب كنت أقصد بس الآن جئتك أعتذر!.. فترد: لا ما ينفعني الآن **أسفك**!

ويطول الاعتذار، ومهما أخذ هذا وقتًا فلا فائدة، فتتركه ثلاث أيام .. شهر، وكل ما عدت تجده ينظر بشزر، كأنه يقول: **تذكر؟ لم أنسَ بعد!..** ولو تأملنا هذا الموقف لم حصل؟ ولأجل من؟ وما الموقف؟ وترى في النهاية أن السبب لأن فلان لم يرد على فلانة، أو أن واحدة رمت كلمة على الأخرى أو قالت تنورتك ليست جميلة؟

قد يكون السبب أتفه من **التفاهة**، وأحيانًا الإنسان يفكر يقول: نحن كيف وصلنا لهذه المرحلة؟ وكيف بدأنا؟ الموقف كان سخيف لكن كيف كبر كبر كبرا! والشيطان هذه لعبته الموقف السخيف، يقول لك: تحسب الموقف هذا سخيف؟ تحسب هذا التعليق من فراغ؟! أصلًا تذكر اليوم الفلاني ماذا فعل؟ تذكر تلك السنة يوم زواجك ماذا قالت؟ يذكرك بشيء حصل قبل 10أعوام ويكبّر لك الموقف التافه السخيف الذي حصل ويقنعك لئلا تراه سخيفا.

لذلك النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

(إِنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ في التَّحْرِيشِ بيْنَهُمْ)

[أخرجه مسلم، صحيح].

في **التحريش** بينهم فهذه لعبته، يحرّش بين أهل البيت الواحد، يحرّش بين الأهل المسلمين في العالم العربي، يحرّش بين هؤلاء وبين هؤلاء، ويلقي الوساوس، ماذا كانوا يقصدون لما فعلوا كذا؟ يحرّش بين فريق وفريق آخر، بين مكان ومكان ثاني، بين شرق وغرب، بين جنوب وشمال. لم يسبق لأي عدو انتصر على المسلم، إلا لما ضعف المسلم بالتفرّق. فمتى ما تفرقنا بسبب التحريش الذي بدأ من بيت واحد، ثم كبّره الشيطان حتى يصل للعالم الأوسع.

إذًا **(من أقال نادمًا أقال الله عثرته)** "إقالة النادم" لاحظوا الكلمة أنك لا تسامحه فقط، بل كأنك تتجاوز عنه وتعفو عنه، وأنت لك أيضًا ذنوب وهفوات، هذا إنسان أخطأ بحقك ولا يمكنك مسامحته! لكن أنت كثيرًا ما **أخطأت** في حق الله عز وجل، تريد الله يسامحك أو لا! فهذا سامحك وهو ليس عبد لك، إذًا ماذا نتخيل الموقف بين الله عز وجل وبينك وأنت عبد وهو **رب!**

ولو أن الله سيأخذك على سيئاتك وهفواتك وتجاوزاتك، مثل ما أنت تأخذ الناس بهفواتهم وسيئاتهم، تتخيل كيف سيؤاخذك الله! تخيل لو أن الله يتعامل معك فقط بالمعاملة التي أنت تتعامل بها مع الناس، كيف سيكون الموقف؟ فأنت لك هفوات أيضًا وأنت تريد من الناس أن يعفوا عنها، فإذا كنت تريد ذلك فاعفُ أنت عن الناس.

(ومن أقال نادمًا أقال الله عثرته يوم القيامة) .

ويقول الله عز وجل: **﴿ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾** [التغابن:14].

لم تكن نهاية الآية بأي جزاء بل ساق لك إيّاها بنفسها

﴿ فَإِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

فالجزاء من جنس العمل.

- قال :**(مَن لا يشكرُ النَّاسَ لا يشكرُ اللهَ)** [أخرجه أبو داود، وقال الألباني: صحيح]

فالإنسان الذي لا يتعامل برد المعروف إلى الناس، هذا الإنسان لا يمكن أن شكر الله عز وجل أساسًا إذا كان لا يشكر الناس، ولاحظوا شكر الله لعباده كيف يكون؟، سليمان عليه السلام حينما أشغلته الخيل عن ذكر ربّه حبًا لها -القصة المعروفة- لما مر ومرت الخيل أمامه سرب خلفه سرب، وهو يراها ويطالعها ويتفحّصها، فمضى عليه الوقت حتّى مضى وقت الصلاة، فلما عرف بالنهاية أن الخيل أشغلته عن ذكر ربّه " ومن يعرف أي أحد محب للخيل، يعرف أن الخيل مثل الإدمان، وهم أصحاب الخيل لديهم حب رهيب لها" فلمّا رأى سليمان أسراب الخيل الموجودة، وهو من أندر أنواع الخيل وأغلاها وعرف أنها هي التي أشغلته عن ذكر ربه، وضيّع الصلاة لأجلها, قال:

﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص:33]،

أعطب كل هذه الخيل، تحسّر كيف تكون الخيل وجمالها إشغال لى عن ذكر ربى؟!

فكيف شكر الله له صنيعه؟ -لاحظ أنت هنا تضحى بشيء أنت تحبه-،

وسليمان عليه السلام ضحّى بشيء يحبه، ثم ثم هي ثروة وأملاك يدخل فيها الحرب، فلما أعطبها جميعًا

﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص:33]،

هذا الغضب والثأر الذي أخذه على نفسه وغضبته هذه لربّه، كيف قصّرت في حق ربّي لأجل شيء أنا أحبّه، ولنعرف فقط كيف كُرّم هؤلاء الأنبياء وكيف قوّوا أنفسهم، وهم في النهاية بشر ولكن قووا أنفسهم بحبهم لله عزّ وجل وغضبتهم له. **﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾** [طه:83] قالها موسى، وسليمان عليه السلام

﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾

فشكر الله له صنيعه، فماذا رزقه؟ لم يرزقه خيل سريعة، لم يرزقه كائنات حيّة هي تحمله، قال الله عزّ وجل: **﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾** [ص: 36]، فوهبه الله بدلًا من هذا الشيء الذي أنت ضحيت فيه, هواك الذي أنت تحبه، الذي تشعر أنك أخذته نزعة من قلبك .. ومنهم من يقول:

يا جماعة أنا ما أقدر أتوب من هذا الشيء يعني عذرًا لكن أنا مجتمعي غير, أنا حياتي غير، وأنا بالذات هذا الشيء ما أقدر أتركه، أنا لو تركته لن يصبح لدي صديق، أنا مجتمعي مختلف.. لا! هذا كله لا تراه، أنت انظر إلى الشيء الذي بينك وبين الله, هل تريد التغيير لأجل الله أم للناس! اتركهم جميعا جانبا، **هذه حياتك أنت،**

سليمان لما نزعها من **قلبه** وأخذ كل هذه الخيول وثروته وأملاكه ونزعها من قلبه، وأعطبها جميعًا، فكان شكر الله له لم يكن بشيء يتخيله، ولم يرزقه الله أحد من قبله ولا من بعده ، فسخّر الله له الريح تجري بأمره فكانت تحمله هو وجنوده والجن الذين كانوا معه وعتادهم وخيامهم وكل شيء كان معهم، كانت تجري بهم الريح رخاء، الرخاء معناه الريح ليّنة طيبة هادئة، رخاء كانت تحملهم مثل نسمة الهواء وتنقلهم حيث يشير فقط سليمان، فهذا شكر الله للناس.

ولذلك يعقوب عليه السلام يقول:

﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّـهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: 86]

فكانوا يعبدون الله عز وجل وهم يعرفون من يعبدون، أما نحن نعبد الله على الشك، يعني: سأفعل كذا لكن ما أدري إذا الله بيرزقني أم لا؟ نعبد الله ونحن نجرب، ما عندنا ذاك **اليقين**، لكن الأنبياء كان عندهم هذا اليقين التام الكامل، ولذلك الصحابة رضوان الله عليهم لما تركوا مكة وهي من أحب بقاع الأرض للإنسان، نحن ونحن لسنا من أهل مكة ومع ذلك تشعر بشيء في القلب يرفرف لها، تريد الرجعة لها، وهي ذلك البلد الذي لا يتميز جوّه ولا معالمه، ولكن هي مكة ومكان البيت، **فالقلب** يتعلّق في ذلك المكان، فتخيل أهل مكة الذين نشأوا فيها أساسًا، وهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانت حياتهم كلها وطفولتهم فيها وهم يطوفون حول ذلك البيت وكل مجالسهم كانت هناك وكانوا يشعرون **بالشرف** أنهم هم أهل البيت، فلما ضحوا بهذا كله وذهبوا مهاجرين إلى المدينة وتركوا مكة خلفهم ولكي تعرف أن الموقف لم يكن سهلًا، فإن النبي عليه الصلاة والسلام ركب على جمل حينما هاجر، والتفت إلى مكة ينظر إليها نظرة المحزون ويقول لها:

(واللَّهِ إنَّكِ، لخيرُ أرضِ اللَّهِ، وأحبُّ أرضِ اللَّهِ إليَّ، واللَّهِ لولا أنِّي أُخرِجتُ منكِ، ما خَرجتُ)

[[أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح]

يتكلم عن مكة بهذا **الحب**، يقول أنه لا توجد أرض أحب لي منك، ولولا أن قومك أخرجوني! حبي لله وللوحي الذي نزل ولِهمّ الرسالة، ولدولة الإسلام التي يجب أن تبنى في المدينة، لأجل هذا كله فأنا لا أستطيع أن أمكث دقيقة واحدة في هذا المكان، كانت صعبة عليهم؛ لذلك الله **شكر** لهم ففتحوا الدنيا،

أين وصلوا؟ إلى الأندلس -أسبانيا- غربًا، إلى أسوار الصين شرقًا، ومن على أسوار النمسا في الشمال، إلى الجنوب جنوب أفريقيا، هذا العالم الكبير بقاراته الثلاث جالت فيها خيولهم حتى خاضت خيول موسى بن نصير في المحيط بعد أن فتحوا الأندلس، وكان ينظر للمحيط الشاسع ويقول:

لو أني أعلم أن وراء هذا البحر عالم وأرض لخضته بفرسي هذا حتى أبلغ دين الله،

كانت عندهم همم، ما كانت الفتوحات كما يسوّق الآن في مسلسل أو نحوه أن هذه الفتوحات كانت من أجل غنائم **لا**، إنما كانوا يفتحونها من أجل **الله**،

ومن أجل إعلاء كلمة الله عز وجل،

فعوضهم الله بهذه الدنيا التي فتحت لهم بعد أن خرجوا من مدينة صغيرة!. لذلك الأنبياء رضوان الله عليهم شُتموا في أعراضهم ونكلوا وعذّبوا، والنبي عليه الصلاة والسلام لما قيل له: ما هو أشد يوم عليك؟ قال: في **يوم الطائف**، وذكر الموقف، إلى أن جاءه أطفال الطائف وأوباشهم،- عبيد كانوا موجودين عندهم- يأخذون الحجر فيرمون النبي عليه الصلاة والسلام يرجمونه فيها، حتى سالت أعقابه دم!

تخيلوا كانت تسيل أعقاب النبي عليه الصلاة والسلام دما!

لأنه كان يبلغ دين الله عز وجل. هؤلاء الذين رُموا في أعراضهم وفي سمعتهم، هذا الكاذب، هذا الساحر، هذا الذي يفرق بين الزوجة وزوجها، وكانوا يقولون أن محمد جاء بسحر رهيب لدرجة أنه يفرق بين البيت الواحد، وما كانوا يعرفون أن هذه **حلاوة** الإسلام، لما رموهم قومهم بهذا الرمي وبهذا الكلام كرّمهم الله ورفع ذكرهم وخلدهم، وقال:

﴿ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: 69]،

فلاحظوا أول شيء قال: **﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّـهُ عَلَيْهِم ﴾** هم النبيين ورفعهم الله عز وجل مكانًا عليًا ومقامًا عليًا لهؤلاء الذين ابتلوا في دنياهم.

الصادق يصدق الله معه:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام أيضًا:

(صدقَ اللَّهَ فصدقَهُ) [أخرجه النسائي، وقال الألباني: صحيح]

ويمكن أن نكون نحن من نتكلم عن **الصدق** من غير ما نصدق، قصة الأعرابي معروفة وسبحان من جعل قصته علامة لكل من يصدق فأنك أنت إن صدقت مثل صدق ذلك الأعرابي كانت نتيجتك مثل نتيجته. الأعرابي قصته: لما جاء للنبي عليه الصلاة والسلام وهو مسلم في غزوة، فقال يا رسول الله: إني قد بايعتك، فقَبل النبى عليه الصلاة والسلام بيعته فتشهد فأسلم، فأمر أحد من أصحابه فقال اعتنوا به،

أعرابي أتى ما يعرف إلا القتال، فقال: خذوه، فكان أليق وظيفة في هذا الأعرابي الذي أتى من أرض البداوة، أن يكون راعي عند الإبل والغنم، فجعلوه يرعى عند الأغنام، فكان يعتني فيهم والمعركة تدور، فلما انتهت المعركة قسّمت الغنائم، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يقسم للموجودين، وكان يقسم أيضًا للآخرين الذين ساعدوهم، فقسم لهذا الأعرابي رغم أنه ما كان في المعركة، فأخذ الصحابي الغنائم فأودعها الأعرابي، فقدمها له فقال: ممن؟ قال هذه قسمتك من رسول الله، فجاء الأعرابي يحمل الغنيمة بيده وأتى للنبي عليه الصلاة والسلام وقال له: يا رسول الله ما هذا؟ ما هذا؟ هذا ذهب؟ هذا درع أم سيف؟ ولم تعطيني منه؟ فقال: "هذه قسمتك من الغنيمة" أي أنك ساعدتنا وهذه لك لأنك مسلم، قال: يا رسول الله ما على هذا بايعتك! أنا ما أتيت أضع يدي بيدك لأجل إعطائي مالًا، لتعطيني شيء من الدنيا! فقال: على ماذا؟ فما قال على شرف ولا قال على أمارة، ولا قال أني أكون وزيرك الصادق، أو يدك اليمين، وممكن يكون هذا كله من شرف الدنيا، فمن علَّم هذا الأعرابي الذي أتى من توه من قبيلته من الأعراب على فرسه ما سمع قرآن ولا حديث، من علّمه الصدق؟ ومن علمه أن الشرف الأكبر أن حياتك تكون في سبيل الله؟

فقال: يا رسول الله ما على هذا بايعتك إنما بايعتك على سهمٍ يدخل هنا فيخرج من هنا، فاستشهد فأدخل الجنة، أنا أمنيتى أموت على لا إله إلا الله، وعلى هذا أنا بايعتك، أنا أتيتك الآن مسلم لأنى ما أريد أعيش حياة عادية،

أنتم تقولون الذي يستشهد هو الذي يدخل الجنة، فيا رسول الله إنما بايعتك على سهمٍ يدخل هنا ويخرج من هنا، قال النبي عليه الصلاة والسلام القاعدة:

الجزاء من جنس العمل،

قال له: **"إن تصدق الله يصدقك"**، إن كنت **صادق** في كلامك سيرزقك الله ما تريد، فما لبث أن نودي للغزوة مرة أخرى، أُقيمت الغزوة فكان من أوائل الناس الذين انطلقوا في الغزوة فيقول راوي الحديث، فما لبثنا قليلًا حتى أوتي به محمولًا، أتوا به، فلما رآه النبي عليه الصلاة والسلام فإذا بالسهم دخل حيث أشار وخرج من حيث أشار! فنظر له النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"أهو هو؟!"** يعني هو الذي جاءني من قبل؟ قالوا نعم يا رسول الله، قال:

"صدق الله فصدقه". [أخرجه النسائي، وقال الألباني: صحيح]

حيث أشار! صدق مع الله فصدقه، الحديث ليس عن أحلام وليس عن أماني، وأتمنى لو إنّي أفعل كذا ولو يكون أني أقدر أعمل كذا وأتمنى يكون لي أثر في هذا العالم وأني أستطيع أعمل الشيء الفلاني! هو ليس بالأحلام بل هو على **الصدق**! أنا أريد أتغير بس أنا ما أعرف كيف؟ ويمكن الآن ويمكن لاحقًا هو ليس بالتمني وحده، لكن إن تصدق مع الله يصدقك، والشيء الذي أنت تتمناه يأتيك إلى حدك ولو أنت كنت ترغب بتوبتك من أمر ما، بهدايتك إلى أمرٍ ما، إن كنت صادق في تبتلك ودعائك وأنت ما تريد الباقي من عمرك يذهب مثل الذي ذهب لأنه لم يبق الكثير، لا أنت تعرف ولا أنا أعرف ولا نعرف الذي تبقى لنا من **عمرنا** أكثر أو أقل؟! فما الذي تريد تغييره، والذي تبقى هل نعيشه مثل الذي ذهب؟ ألم نشبع من الدنيا بعد؟ ما زلنا نريد نجرب، نأكل، نتمتع، نخوض مع الخائضين، **فمتى سنتوقف؟**

فلما قال: **هذا من صدق الله صدقه**، كانت هذه القاعدة.

وانظر لقضية الصدق، الإمام أحمد لما صبر في محنته على ثلاثة خلفاء يتعاقبون، يعني يموت خليفة بعد خليفة، وكلهم على مبدئ خطئ واضح،

أنّ القرآن هو كلام مخلوق، أنه قرآن مخلوق مثل الشجر ومثل كذا، وليس كلام الله، فالإمام أحمد إمام السنة يقول لهم: مستحيل هذا الكلام القرآن كلام الله،

كيف تقولون إنه ليس كلام الله!

فصبر الإمام أحمد على ذلك وعُذّب في ذلك عذابًا شديدًا، المهم لما انتهت الفتنة سُئل الإمام أحمد، سأله أبو حاتم الرازي فقال له: يا إمام كيف نجوت من سيف الواثق وعصا المعتصم؟ سيف الواثق هذا واحد من الخلفاء الذين امتحنوه و كذلك المعتصم، كيف نجوت منهم؟ كيف تحملت جلدهم الذي جلدوك؟ كيف صبرت وأنت فوق الثمانين؟ مين يصبر؟ شيبةٌ كبير يُجلد يُصلب! تُشد أياديه، خُلعت كتفاه، سبق وجربتوا خلع الكتف؟ كيف ممكن يكون ألمه! هذا يُخلع الكتفين الاثنين، لأنهم خلعوها حتى يصلبوه وهو بهذا العمر، مين يتحمّل كل هذا! ويأتونه بالجلّادين، الجلّاد وراء الآخر يجلدونه لأجل أن يغيّر كلمته فلم يغيّر، فيقول له الرّازي: يا إمام كيف نجوت من سيف الواثق وعصا المعتصم؟ فقال له:

يا أبا الحاتم لو وضع الصدق على جرح لبرأ!

فأنت لو كنت صادق في أي موقف يبرأ هذا الموقف الذي يحصل، فأنت لو كنت صادق في نيّتك في عملٍ ما، صادق في إعداد شيء ما

فسيعطيك الله عزّ وجل،

فلو وضع الصدق على جرحٍ لبرأ.

الذاكر يُذكر في ملءٍ خير:

تحدّثنا عن الصدق أنك إن صدقت مع الله عز وجل يصدقك، ولاحظوا أن من أبواب الجزاء من جنس العمل: **الذكر**، فأنت إن ذكرت الله عزّ وجل ذكرك، لمّا تتابع هذا الحديث، قلبك يرفرف له؛ فعنِ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فيما يَحكي عن ربِّه عزَّ وجَلَّ أنَّه قال:

(مَن ذكَرَني في نفْسِه ذكَرتُه في نفْسي، ومَن ذكَرَني في ملأٍ مِنَ الناسِ ذكَرتُه في ملأٍ أكثرَ منهم وأطيَبَ) [أخرجه أحمد، صحيح].

هذا حديث قدسي، الله عز وجل يقول الذي يذكرني في نفسه أذكره في نفسي، فأنت تجلس في مجلسك تشرب قهوتك الصباح، لو ذكرت الله في هذه اللحظة وطرأ عليك أي أمر، يعني ذكرته الآن في نفسك من داخلك ما تكلمت، لكن ذكرته، وراجعت قليلًا حساباتك وكرم الله عليك ولطفه بك، خشيت، رجف قلبك في لحظة خوف، أو رجف حُبًّا، أو شوقًا، في ناس تشتاق لله عز وجل، وكأني بعدت كثيرًا! طيب أنت مجرّد هذا **الإحساس** يتحرّك فيك من داخل، أريدك تتوقف هنا للحظة، واعرف أنك الآن كما أنت ذكرته في نفسك، أنّ الله من فوق سبع سماوات ذكرك في نفسه! لأن الحديث حديث قدسي عن الله عزّ وجل هو يقول:

(مَن ذكَرَني في نفْسِه ذكَرتُه في نفْسي، ومَن ذكَرَني في ملأٍ مِنَ الناسِ ذكَرتُه في ملأٍ أكثرَ منهم وأطيَبَ)، فأنت لو كنت في اجتماع مع مجموعة، وقلت لهم أي معلومة مفيدة، ذكرتهم بها بالله، وأن النبي عليه الصلاة والسلام تكلم عنها... تخيلوا هذا الشيء البسيط، أنت لم تلق **خطبة** ولا هي **موعظة**، قلت فائدة هكذا أثارت اهتمامك وبلّغتها

(ومَن ذكَرَني في ملأٍ مِنَ الناسِ ذكَرتُه في ملأٍ أكثرَ منهم وأطيَبَ). أنت تتكلم في الدنيا وأنت في مجلسك مرتاح، وذكرت هذه المعلومة فتخيل أن الله يذكرك في ملأ خيرٍ منه، عند ملائكته، أي **شرف**! حينما نفكر فيها هل نستحق؟! أنا أستحق، لأني قلت هذه الكلمتين أن الله يذكرني في ملأ خيرٍ منه، لكن هذا من كرم الله،

ولأنه شكور، يُثيب على العمل القليل بالخير الكثير.

صدقة الله أعظم وأجزل:

من **كرم** الله عز وجل أن من يتصدّق يُتصدّق عليه، ولما يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

(... لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا، ....) [أخرجه أحمد، حسن لغيره].

فبالفعل **(ما نقص مالٌ من صدقة).**

واسمع لهذه القصة، يرويها النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث فيقول:

(بَيْنَمَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ إِذْ سَمِعَ رَعْدًا فِي سَحَابٍ، فَسَمِعَ فِيهِ كَلَامًا: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ بِاسْمِهِ، فَجَاءَ ذَلِكَ السَّحَابُ إِلَى حَرَّةٍ فَأَفْرَغَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى ذِنَابِ شَرْجٍ، فَانْتَهَى إِلَى شَرْجَةٍ، فَاسْتَوْعَبَتِ الْمَاءَ، وَمَشَى الرَّجُلُ مَعَ السَّحَابَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَجُلٍ قَائِمٍ فِي حَدِيقَتِهِ يَسْقِيهَا، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا اسْمُكَ؟، قَالَ: وَلِمَ تَسْأَلُ؟، قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ فِي سَحَابٍ هَذَا مَاؤُهُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ بِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا إِذَا صَرَمْتَهَا؟، قَالَ: أَمَا إِذْ قُلْتَ ذَلِكَ، فَإِنِّي أَجْعَلُهَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَثْلَاثٍ: أَجْعَلُ ثُلُثًا لِي وَلِأَهْلِي، وَأَرُدُّ ثُلُثًا فِيهَا، وَأَجْعَلُ ثُلُثًا فِي الْمَسَاكِينِ وَالسَّائِلِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ ")

[أخرجه الطيالسي، وقال الألباني: صحيح]

فهذا واحد في صحراء يمشي، فسمع صوتًا في سحابة، والأرض صحراء ما كان فيها شيء، فجأة سحابة جاءت هكذا، فسمع صوتًا في سحابة، وإذا بصوتٍ يقول:

"اسقِ حديقة فلان"، يلتفت لا يوجد أحد! ويطالع السحابة ما كان مطر ولا شيء، فجأة هذا الأمر الذي سمعه هذا الإنسان، "اسقِ حديقة فلان"،

فيقول: فإذا السحاب يتجمّع على صخرة موجودة، يصب فيها، جاء المطر فقامت تصب على مثل الصخور متجمعة، فذهب هذا الإنسان إلى هذه الصخور، فأفرغت السحابة ماءها في حرّةٍ وهي أرض ذات صخور سوداء، فإذا مسيل ماء بين الصخور قد استوعبت ذلك الماء كله الذي نزل من السحاب، فكل الماء الذي نزل من السحابة نزلت على الصخور والصخور تجمعت في هذا المسيل، والماء في هذا المسيل، بدأ وبدأ المسيل يسيل ويتدفّق، ينزل الماء ويقطع هذه الصحراء ويمشي في منحدر، يدخل ويدخل في طريق معين إلى بستان معين، حتّى وصل إلى بستان لرجل، فجاء الرجل هذا إلى هذا الشخص،

فإذا رجلٌ قائم في حديقته يحوّل الماء بمساحته، يعني الماء يتدفق على بستانه وهو يحوّلها يمنة ويسرة يعمل لها مجرى،

فقال له يا عبدالله ما اسمك؟ قال فلان، فإذا هو نفس الاسم الذي سمعه في السحاب ثم قال له: يا عبدالله لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إنّي سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسقي حديقة فلان باسمك فماذا تصنع؟

ما قصة السحاب الذي أتى من أجلك؟ فقال: أما إذا قلت هذا يعني انكشف لك أمري فإني أنظر إلى ما يخرج منها، يعني أنا إنسان مزارع بسيط أزرع في هذا البستان، فأنظر إلى ما يخرج منها فآكل أنا وعيالي ثلثًا **وأتصدق** بثلثه وأرد فيها ثلثه. مثل هذا يعني شيء كبير، قد نظن أن الأمر بسيط لكن الذي عمله أنه ثلّث كل ما يملكه في الدنيا، ما انتظر إلى أن يموت ويوصي بثلثه من أجل أعمال الخير لا! هذا ثلّثها في الدنيا وواضح أنه ما يملك غير هذا البستان، فثلث يكفيه هو وعياله فما تكلّم عن تجارة ولا عن بساتين ولا عن خطط في أن يزيد تلك التجارة وأنه يكثرها إلى ما لا نهاية ما حلم بهذا كلّه، أخذ من هذه الأموال ثلث يكفيه هو وعياله وثلث يردّه في إصلاح هذا البستان لأجل حاجته وأشياءه الأخرى في رأس المال، وثلثٌ أتصدّق به، يعني كالثلث الذي يكفيه هو وعياله، يأخذ هذا الثلث ويتصدّق به، لكن لأنك أنت تتاجر مع الله عز وجل وهذه المتاجرة التي أنت تتاجرها، ما يمكن تظن أنها كاسدة..

فإذا الله سقى لهذا الرجل، لهذا المزارع البسيط وسخر له سحابه،

لولا أن الله أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلّم بهذه القصة

لم نكن لنعرفها، وما أكثر ما جرى سحاب لم نعرف فيه! سواء كان سحاب حقيقي، أو سحاب من سحابات الدنيا التي تأتي للإنسان فتوسّع عليه والإنسان ما كان يتخيّل إن تنزل له سحاب وألّا تمطر في حياته مطرا أصلًا،

لكن الله ساقها له وهو لا يعلم أن الله إنما يجعل هذا جزاء لأعمالك،

فالله أكرم هذا الإنسان لأنه تصدّق بثلث، ألم تشعر بشعور الحياء

ونحن نبخل على الله عز وجل!

ما نقول نبخل بالمال لا، أسهل شيء الآن أن الواحد يتصدّق بمال، لكن تبخل على الله بحياتك أنت، وباهتماماتك وبحبك أنت وبهواك، ما نشعر بالحياء حينما نعرف كيف الله يشكر لعباده الذين يتسابقون لعبادته، وأنت إلى الآن متردد وفي آخر الصف، لا والله أنا لست من هؤلاء الناس لا، أنا ما يمكن أكون منهم لا، علام **تتردد** إذًا؟! وما الذي وجدته في الدنيا أصلًا لا زال يربطك فيها؟ وإذا أنت تشعر أنك ما زلت تريد، وللتو ما شبعت منها وما زالت الدنيا مفتوحة، وللتو بدأت أجد مال أو شهرة، وكأنه للتو تكتشف الحياة! ما على الدنيا حسرة، وإن كنت تظن أنك تحارب من أجل الدنيا فلا الذين ذهبوا كسبوا منها شيء، ولا الباقيين أصلًا تبقى لهم منها شيء، ما على دنياك حسرة أنت فقط اربط حبالك مع الله عز وجل.

قيل للحسن بن سهل رحمه الله، وكان كثير العطاء والنفقة، وكان عنده عيال وعنده حاجات، فهو كثير النفقة، فنحن لا نتحدث عن شخص مليونير! لكن عنده عيال وعنده حاجات، يعني واضح أنه حتى ممكن يكون مديون لكن أيضًا كان كثير العطاء، ما يجمّع له شيء إلّا يعطيه، فقالوا له: ليس في السرف خير، انتبه على أموالك! أنت كيف كل ما سمعت عن مشروع ذهبت له؟ وكل ما تجمّع عندك قرشين ذهبت وأنفقتهم؟ انتبه ليس في السرف خير!

فرد عليهم قال: ليس في الخير سَرف.

ماذا قالوا هم له؟ "ليس في السرف خير"، يعني قليلًا قليلًا، لا تبذل كل الذي عندك، لا تبذل طاقتك ولا جهدك، ليس كل مالك توزعه، وليس كل صحتك تعطيها، ولا تجعل كل يومك يذهب فيما تصنع! قليلًا قليلًا، ساعة لنفسك وساعة لقلبك وساعة لكذا وكذا، كأننا نحن نملك حياتنا أو ما نملك! فقالوا له: ليس في السرف خير، فردّ عليهم وقال لهم: ليس في الخير سرف، أنا لو فعلت ما فعلت من الخير هذا فما يعتبر سرف،

هذا خير سألقاه في دنياي قبل آخرتي.

بناءٌ بـبناء:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

(مَن بنى للهِ مسجِدًا ولو كمَفْحَصِ قَطاةٍ بنى اللهُ له بيتًا في الجنَّةِ)

[أخرجه ابن حبان، وقال الألباني صحيح].

لا زلنا في قاعدة: **الجزاء من جنس العمل**، بنى لله مسجد؛ فبنى الله له بيت في الجنة.

لما نسمع هذا الحديث أو نقرأه مكتوبًا في إعلانات المساجد و غيرها،

اعرف أن الجزاء غير متكافئ!

أنت ما الذي بنيت أصلًا؟ هو مسجد ساهمت فيه بعشر ريالات أو بعشرين ريال!

و"بنى الله له بيت فى الجنة!" الشيء البسيط الذي قدمته، السهم الذي شاركت فيه أو عملته أو أنت وأصحابك قررتم تجمعون لبناء مسجد في بنقلادش أو مسجد في الصين أو مسجد في هذه الخمسة آلاف أو الخمسة عشر ألف، أو الخمسين ألف، التي كان ممكن تذهب في إسوارة، أو كان ممكن تصرف في جزمة -الله يكرمكم- أو كان ممكن تذهب في حقيبة نضع لها غلاف يحميها من المطر! وأنت لو كنت اقتطعت هذا المبلغ وبدلًا من صرفه في شيء من هذه الأشياء، قررت أنت ومجموعتك **بناء مسجد**، فالذي يحصل أنك ستأتي يوم القيامة وعندك أملاك، تأتي لو تعذّبت في النار، وكنت أسوأ خلق الله، لكن عندك شيء في **الجنّة** أنت من بناه لن يذهب ولن يضيع، فالخير الذي عملته موجود، أنت تبني لك **أملاك**!.. هم كانوا يفهمون هذا الكلام بشكل صحيح فيقولون:

إن لنا بيوتًا نُرسل لها، وهم لما يأتيهم واحد يقول: مالكم بيوتكم؟ يدخل عليه فما يجد عنده أثاث كثير أو غيره، فيقول أحد السلف: إنا لنا بيوتًا هناك نُرسل لها، لدينا بيوت ثانية، ناس فهموا الشيء صح! الكلام هذا ليس خيال، لا هذا هو كلام الحقيقة، لأن لنا بيوت هناك نرجع لها،

لكن **القضية** بيتك هناك ماذا عملت فيه؟ أمك ذهبت لبيتها؟ انتهى..

أبوك لو توفى هو ذهب هناك، خالك، ابن خالك، ابن عمتك، أي إنسان توفى هو ذهب **لبيته** الذي بناه؟ فأين ذهبوا؟ هم ليسوا في قبور تحت الأرض فقط! هم الآن يُجازون بأعمالهم التي عملوها، فهم كما يُجازون، نحن كذلك سيأتينا **الدور**، إذا علمت ذلك، فابني لهناك أرسل شيء، اجعل لديك عمل بينك وبين الله عزّ وجل على الأقل يكون لك، فلو أنت عُذّبت سنين في النار، نفرض أنك أنت أسوأ خلق الله، وأنك أنت ما تبت من ذنوب عظيمة كانت عندك، ومنغمس فيها، لكن كانت عندك أعمال خير كنت تدخلها في حياتك،

فهذه لا تضيع ولا تضيّعك وهي موجودة لك ديَن.

قال عليه الصلاة والسلام عن ربه تبارك وتعالى:

(وإنَّهُ لا ظُلمَ علَيكَ اليومَ) [أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: صحيح]،

فما يمكن أنك تُظلم اليوم، فمن يعمل خيرًا ولو مثقال ذرّة يُجزى به، المشكلة فقط لمّا يأتي إنسان يختم لنفسه أنه ما ينفعه الخير بالشر الذي يعمله، أنا لمَ أنافق؟ وإني والله أسمع الخير ثم أعمل وأفعل، إذًا أنا لن تتغير حياتي، إذًا أنا لن أتغير فلمَ أكذب على نفسي هكذا! وعلى العكس.. أنت لا تكذب، أنت تحاول أنك تدخل الخير لحياتك، نحن ما صرنا ولن نصبح أصلًا ملائكة! لكن بالقدر الذي نستطيعه نضيف الخير للأربع وعشرين ساعة، تستطيع تخصيص خمس دقائق للخير تدخلها، تضبط **صلاتك**، تقلل من **ذنوبك**، قلل فقط، في ذنوب ما نحتاج لها، ذنوب فوق البيعة! يعني لو تسأل نفسك هل سأموت لو ما فعلتها؟ لا، في أحد يعرف أنك فعلتها؟ لا، طيب تسأل نفسك؟ ما أدري، طيب لماذا لا تدري؟ طيب اتركها!.. يعني في ذنوب لو فكرنا فيها، ما لها حاجة، إذا لم تغرق نفسك فيها، ولو كنت تفعلها أمام الناس، لأجل المجتمع ولأجل..

فما بينك وبين الله **نظفه**، ما لك قدرة في الناس ولا في كلام الناس ولا أصدقائك اتركهم، وأنت في السيارة لا أحد يراك ما الذي يمنعك؟ تذكر الله أو تقرأ وردك من القرآن؟ ما الذي يمنع؟ لا شيء! لكن بالمقابل جلست أو شغلت مسجل أو جلست أتأمل الطريق، أو على الجوال، **طيب الوقت يضيع وعمرك يضيع،**

وصلنا في الأربعين وسنصل للخمسين وسنصل للستين والعمر **ضائع**!

هناك فرق بين الذي يضيّع عمره، وبين إنسان شغّال يرسل هناك، ويأتي يوم القيامة واحد ما عنده صخرة في الجنّة! وبين إنسان ثاني باني له قصور في الجنّة، وقلنا -ألف مرة –

يا ناس يوم القيامة لا ندخل الجنات بالعوائل، بل ندخل **بالأفراد**! لن تأتي والله عائلة آل فلان يدخلون الآن! ما تأتي بالعوائل، فرد فرد، حتّى بيتك أنت فرد، أنت لوحدك، وزوجك لوحده، وعيالك لوحدهم، وهذا الشيء الذي يجب أن يفهموه هم أيضًا.

غضّ يتبعه نور:

"من غضّ بصره عن الحرام"

في مفهومنا أن الإنسان الذي لا ينظر للحرام وما عنده خبرة فيه أنه إنسان غافل، ساذج، يُقال عنه: ضعيف مسيكين، من **الطيبين**!

يعني لا تعرف فلانة ممثلة أو مغنية؟ لا والله، غريب ما تسمع! أنت طيبة والله..!

ما تعرف كذا؟ ولو ما سبق ورأى شيء من هذا، فيُظن أنه إنسان فيه نوع من الغفلة والسذاجة، مع أن الناس التي تغضّ عينها عن الحرام يجازيهم الله بجزاء آخر وهذا الجزاء موجود في سورة النور، قول الله عز وجل:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [النور: 30]

ودائمًا لاحظوا هذا الربط بين **حفظ الفرج** وبين **غض البصر**، لأن أصل كل شيء هي نظرة العين! هي الشيء الذي من الممكن أن يقلب حياتك! بمقطع أو صورة، ممكن إنسان يتغير من شيء إلى شيء! كان إنسان مستقيم، محافظ، ثم مقطع أو صورة أو ممكن متابعة لأي شخص، غيّرت كيانه، وأدخلته في دوامة، هزت أوله على أخره! **ولم يعد يعرف يرجع مثل ما كان !**

تلك الدوامة التي حدثت هي من **نظرة عين** فقط،

هي تبدأ دائمًا من هذه النظرات الأولى، وما أتكلم عن نظرة رجل لامرأة أو امرأة لرجل **لا**! قد تكون نظرة من أجل الدنيا فقط، في مكان ما، أو في شيء فخم، أو في نوع من الحرام فعله أحدهم فيتشوق الآخر له من خلال مقطع أو صورة!.

يقول الله عز وجل:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور: 30]،

والآية التي بعدها: **﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾** [النور: 31].

وما الآية التي جاءت بعدها؟ آية ٣٥ تقول: **﴿ اللَّـهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾** [النور: 35].

﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾هذه الآية مثل نوره، أي مثل نوره في قلب عبده

﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّـهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾ وذلك الذي أطفأ النور، وأطلق بصره في الحرام: مقطع، حساب، تصفح، والحرام موجود بشكل تمجّه الأنفس، وأنا أرحم الصغار الذين للتو دخلوا على هذا العالم، لا يوجد شيء يسلم منه، تقول تويتر لا يوجد فيه شيء، فتأتيك منه مواقع إباحية، والصور شيء ما يمكن الإنسان **يتخيل**! وكلها إعلانات وأنت لا تتابعها! تأتيك فجأة في الخط الزمني الخاص بك، صور إباحية، طيب ماذا عن ابنتك التي عمرها ١٣ سنة وولدك الذي عمره ١٥ سنة أو عمره ٩ سنوات؟ ما دام أنه دخل في هذا العالم ويتعرض إلى هذا النوع من صور إباحية، لا أقول صور عادية!، فكم هو التلف الدائم الذي سيصير في دماغه! وفي براءته؟ والشدخ الذي سيصير فيه وهو يرى هذا كله؟ والله نرحم الناس إذا لم يتعودوا أن يغمّضوا أو يغضوا بصرهم، هذا المفهوم الذي يمكن الآن صار **نادر**، حتى أنك لا تجد أم تخبئ ولدها، تقول: إي الآن كل شيء متفتح في الدنيا، والله الحافظ، الله الحافظ نعم لكن ما هو دورك؟!

ما الذي عملته في نفسك وحفظته لكي يحفظ الله لك عيالك أيضًا!

فلما نتكلم أن من يغض البصر، فجزاؤه أن الله يبصره.

يقول أحد السلف: **(فمن غضّ بصره نوّر الله بصيرته)**

فانظر، هذا الذي لا يرى الحرام الله ينوّر بصيرته فيصير يعرف **الحق** من **الباطل**، وانظر لصاحب الخبرة في المشاهدات والصور والأمور الغير منضبطة!

أنت يا صاحب الخبرة أنار الله بصيرتك؟ عرفت الحق؟ عرفت الخطأ من الصواب؟ قدرت تترك الخطأ؟ لا؟ فما الفائدة؟ ما الفائدة أنك أنت عرفت؟ إذا لم تستطع أن تقوي نفسك؟ فأنت متعت نفسك وعينك ورأيت ورأيت، لكن هل تقنعني أنك في نهاية يومك أنك قادر أن تنام على وسادتك بقلب مرتاح، أو هناك ما يحترق بداخلك، ما يمكن!

الله لا يضع سعادة في معصية أبدًا، ما يضعها!

ولا تتخيل أن شيء من متع الدنيا ممكن يعطيك الله إياها على شيء أنت ما آثرت الله عز وجل فيه على هواك! فمن يغض بصره وهذا باب من أبواب الخير أنك تمنع نفسك من الحرام وتحاول أن تنقي نفسك وتنظف هذا الوسخ الأسود فيك، وأنت متى ما حاولت،

يكون الجزاء من عند الله في شيء لا تتخيله، وأنت كل الذي فعلته أنك تركت رؤية الحرام وتركت تغذية الشيطان والشر الذي بداخلك، كلنا مركبين من اثنين، **مركب خير ومركب شر،** الشيطان يستقوي بالشر، والملائكة موجودون يحثونك على الخير، فأنت إذا قوّيت الشر وغذّيته أكثر، صار مثل المارد فيك، يصير مثل الذي يدمن على مخدرات وهي تزيد تزيد فيه، لكن متى ما غضضت وحاولت، يضعف ويمرض إلى أن يموت، وهذا يساعدك فيها الله عز وجل، خطوات بسيطة أنت تفعلها، فالله يبارك لك فيها، والمارد الذي كان فيك، الذي كان ليس من الممكن أن يذهب ولا يتغير وأنت تراه وقد صار مثل القطة الصغيرة تركله برجلك!

لكن إذا صدق الإنسان مع الله عزّ وجل، صدقه.

حسنة قُبيل الفجر:

إن الله عز وجل يثيب أيضًا الذين **يقومون الليل**، فهؤلاء يقومون من الليل يصلون ، قبل صلاة الفجر بربع ساعة، نصف ساعة يقوم، فهو سيقوم في كل الأحوال لصلاة الفجر، وللدوام، **لكنه قرر أن يرسل هناك ركعتين**،

فهو قبل صلاة الفجر وقّت ساعته وذهب وصلى له ركعتين في ربع ساعة، نصف ساعة أيًا كان، وجلس في مصلاه، الشيء الذي لم تراه العيون ولم يدري به أحد، ما تسجل في سناب أنا والله الآن جالس أصلي صلاة الليل، هذا شيء بينه وبين الله عزّ وجل لا يعرف فيه أحد، يمكن عنده أحد في الغرفة ونائم ولا يدرون عنه، الشيء البسيط هذا الذي قام به انظروا كيف **يجازيه الله عزّ وجل يقول تعالى:**

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾

[السجدة: 16].

تتجافى جنوبهم: يعني هو نائم وجنبه يتجافى عن المضجع، يعني ينتزع نفسه انتزاع من السرير، لأن في القيام مشقة، وانظر لصلاة الفجر وكيف الواحد يجاهد نفسه، طيب لما تقرر الاستيقاظ قبل بربع ساعة يأتيك الشيطان بجيشه كامل يوسوس لك ويثبطك لئلا تقوم، فهذا **﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** [السجدة: 16-17]

فلا تعلم نفس: يقول شرّاح الآية:

لأنهم أخفوا عملهم، فأخفى الله لهم جزاؤهم كنوع من المفاجأة لهؤلاء، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة عين، فلو ملك من ملوك الدنيا قال لك بجازيك بشيء سيسعد قلبك ويقر عينك فيه، فأنت تشعر أن هذا الوعد عظيم،

كيف الوعد لما يكون من الذي خلق الدنيا وما فيها،

والذي يقول أصلًا لو كانت الدنيا تسوى عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة **ماء!**

فكيف الله الآن لما يريد يجازي هؤلاء الناس على ركعات في الليل؟

متخيلين!

طيب الذي نقوله بسيط!

ما الذي يمنع؟

أنت لو تسأل نفسك ما الذي يمنعني أعمل هذا الشيء؟

والله لن تجد **سبب** واحد! أنت ما تحولت مطوّع ولا قلبت شيخ من المشايخ ، أنت تدخل أشياء بسيطة، هذا الشيء البسيط ترسله هناك وسينفعك، وإذا نحن ما دخلنا من قبل ولا دخلنا الآن فمتى؟! هؤلاء يقول الله عز وجل عنهم:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: 16-17].

فأنت تفعل الشيء لله فلا تضحك على إنسان، هؤلاء المطاوعة مساكين، الآن الزمن ليس زمنكم، ونحن الآن تغيرنا، لا تضحك،

أنت اهتم لأجل نفسك وصلاحها، أنت الوعد بينك وبين الله فقط، كل المجتمع هذا كله غير مهم، أنت فقط! فما أخبارك مع الله؟ وما الذي فعلته لله؟

أقبل ولا تدبر:

لما نتكلم عن الجزاء من جنس العمل،

فإن المثال يكون جليًا في الثلاثة الذين دخلوا إلى حلقة، وكان عليه الصلاة والسلام جالس بالمسجد، يقول الحديث: (أَنَّ رَسولَ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلّمَ بيْنَما هو جَالِسٌ في المَسْجِدِ والنَّاسُ معهُ إذْ أقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَر، فأقْبَلَ اثْنَان إلى رَسولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلّمَ وذَهَبَ واحِدٌ، قالَ: فَوَقَفَا علَى رَسولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلّمَ، فأمَّا أحَدُهُمَا: فَرَأَى فُرْجَةً في الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وأمَّا الآخَرُ: فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأمَّا الثَّالِثُ: فأدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسولُ اللّهِ صَلّى اللّهُ عليه وسلّمَ قالَ: ألَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أمَّا أحَدُهُمْ فأوَى إلى اللّهِ فَآوَاهُ اللّهُ، وأمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللّهُ منه، وأمَّا الآخَرُ فأعْرَضَ فأعْرَضَ اللّهُ عنْه) [أخرجه البخاري، صحيح]

الآن هم ثلاثة وكأن النبي عليه الصلاة والسلام جالس هنا، فجاؤوا ثلاثة، فاثنين أقبلوا وقعدوا هنا وواحد خرج، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهبًا منهم فقال النبي عليه الصلاة والسلام: ألا أخبركم عن النفر الثلاثة أما أحدهم فآوى فآواه الله. قال: أنا سأحضر وسآتي فأواه الله، وأما الآخر فاستحيا، لم يكن متحمسًا، ولا مقبلًا لكن أتى، كالذي يصل لمكان وهو غير مقبل، لكن داعي الحياء يجعله يقبل، وأما الآخر فاستحيا، فاستحيا الله منه! **تخيل تأتي المكان فقط لأجل الحياء**، ليس لك رغبة في السماع ولا تريد الدخول، وليس لك في الكلام الذي يقال، ولكن عندما أتى للباب ووقف واستحى، فحتى المشاعر الموجودة بداخلك لن ينساها الله! ترون **الكرم** في الجزاء من جنس العمل؟! فاستحيا؛ فاستحيا الله منه! وأما الثالث فانظر الألم: قرر فأدبر قال: لا والله ما لي رغبة، فأدبر فأدبر الله عنه! تؤلم أنك أدبرت بظهرك فأدبر عنك، وكانوا يقولون: إذا رأيت العبد في ذنب فلا تظن أن الشيطان قد غلب، ولكن الحافظ أعرض، لما ترى نفسك متلطخة بذنب لا تظن أن الشيطان هو من قدر عليك، لا! ليس فقط هو الشيطان!

هو الحافظ لم يحفظك! الحافظ تولّى عنك، لأنك أنت توليت عن الله عز وجل.

يقول ابن القيم:

"اعلم أن لك ذنوب بينك وبين الله تخاف عواقبها وترجو أن يعفو عنها ويغفرها لك".

اسمع هذا الكلام بقلبك، ومع ذلك لا يقتصر الله أن يغفرها لك فقط.

أنت الآن ما تريد الله يغفرها لك لا، وإنما لا يلبث أن ينعم عليك ويُكرمك ويجلب إليك من المنافع فوق ما تتمناه. أنت الآن مذنب بالذنب وتفعل شيء عظيم في حياتك، والشيء الذي ما كنت تفعله بالثانوية فعلته الآن على كبر وأسوأ! وأنت ترى نفسك أسوأ،

ومع ذلك الله لا زال يمهلك ويعطيك الصحة والعافية ويكرمك ويقر عينك ويُحسن إليك، وترى كل شيء يتفتح لك والحمد لله الدنيا في أمان، أنت تذنب وتعصي والله ينعم عليك ويُكرِم ويعطيك فوق ما تؤمله فإذا كنت ترجو هذا من ربك أن يقابل به إساءتك فما أولى وأجدر أن تعامل به **" فإن الجزاء من جنس العمل"** فكما تعمل مع الناس، يُعمل بك

﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ [النبأ: 26]

فانتقم بعد ذلك أو اعفُ وأحسن بعد ذلك أو اترك، فكما تدين تدان،

وكما تفعل مع عباده، يُفعل بك.

خاتمة:

هذه **قواعد** الحياة ، هذا منهج للحياة، نحن لا نعامل الناس بأخلاقهم هم، ولا أن هذا إنسان سيء ولا أن هذا إنسان ما يستحق شيء، أنت لا تنظر للناس لا هم ولا أسماؤهم ولا أشكالهم، أنت تعامل ربّهم، أنت تعامل الله من فوقهم، فلا تستهلك نفسك ولا مشاعرك مع الناس، لذلك أختم فقط بأن القاعدة ذكرناها في عوامل الخير لكن تخيلوا في الشر كيف ممكن تكون؟ وهذه فقط في أن من نسى الله نسيه الله! وأصعب شيء ممكن يمر على الإنسان أنك تعيش وأنت تحس أنك لست في القائمة تعيش وسعيد في حياتك، لكن أنت سقطت من عين الله منذُ زمن! من ذاك الموقف من تلك السنة!

وأنت لست معدود! فلا يبالي الله في هذا العبد في أي أودية الدنيا هلك! مات حيًا،

هو الآن يأخذ أرزاقه في الدنيا، لكنه سقط من عين الله منذ زمن!

الآن هذا الإنسان يعاقب بأصعب أنواع العقاب أن الدنيا ممدودة له، ما عنده أحد يقول له: لا، ولا أحد يدري فيه ومستمر في اللهو مثل ما يريد والدنيا تتفتح له، ويظن أنه وجد ما يريد ويطمح، لكنه لا يعلم أن الله عز وجل قد أسقطه من عينه منذ زمن! والوعد حينما يلتقون.

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ [طه: 125]

أنا بالدنيا كنت بصير، لمَ لمّا أتيت يوم القيامة ذهبت عيني ولم أعد أرى شيء أصلًا؟ قال:

﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: 125-126]

كانت الأشياء كلها تقال لك، وما شاء الله عليك أنت تعرف وما يلزمك أصلًا ، لكن أنت لمّا جاءتك الآيات نسيتها وكذلك اليوم تنسى، **أنت اليوم لا شيء!** ومن أصعب العقاب أصلًا أنك تُحجب عن ربّك، أنك تمر في كربة وأنك تريد تدعي **يا رب فما تستطيع!**

وهذا الشعور من أصعب أنواع الحياء، أنك تعيش وأنت تحمل شعور الخجل من الله، وتصرف تفكيرك سريعًا، من شيء لشيء تغمّس نفسك في الدنيا لأنك ما تريد تتذكر أن حبلك مع الله مقطوع! لماذا؟ وما الذي يستحق في الدنيا أن يعاقب الإنسان نفسه بهذا العقاب؟

يقول الله عز وجل عن الذين **ضحكوا** على المؤمنين في الدنيا استهزاء وسخرية، ويتهمونهم **بالتخلف**، وهل ما زلتم تتكلمون عن الآخرة وعن الجنة وعن النار، أنتم مؤمنين بهذه الأشياء؟!

فيقول الله عز وجل عنهم في آيات تختصر كل هذا المشهد الدنيوي الذي نراه،

يقول الله عز وجل عنهم في آخر سورة المطففين**﴿ فَالْيَوْمَ ﴾** اليوم متى؟ الأخير يسمونه النصارى يوم القضاء اليوم الأخير

في ذلك اليوم يقول الله عز وجل:

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: 35-37]

وتنتهي السورة. والجواب عليك.

ضحكتم في الدنيا وعملتم واستهزأتم، وتظن أنك أنت **الكاسب**، والله يختصر كل هذا المشهد في سورة المطففين، انظر السياق من أوله إلى كتاب الأبرار وكتاب الفجّار، اقرأ سورة المطففين اليوم، وتأمل الآية الأخيرة كيف؟

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: 35-36]

في الجنات يتذكرون ويقولون: تذكرون لما قالوا كذا؟ وتذكرون لما قالوا كذا؟ وتذكرون يوم ما حصل كذا؟ انتهى كل شيء.. ذهب

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: 35-37]

وتختتم السورة بسؤال مفتوح حتى يجيب عنها الإنسان .

نقف إلى هنا وأسأل الله أن يجعلني وإيّاكم ممن أحسن العمل وممن أحسن القول، وأن يجعل آخر أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم أن نلقاه وأسأل الله أن يغفر لنا ولوالدينا ولإخوتنا الذين سبقونا بالإيمان واغفر للمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، ويغفر لإخواننا وأخواتنا الذين دفنوا اليوم ويغفر لهم ويبدلهم دارًا خيرًا من دارهم وأهلين خيرًا من أهليهم وأن يجعل ما أصابهم من آلام يا رب كفّارات لهم ورفعة في درجاتهم، هذا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

*تنويه: مادة المحاضرة جُمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلّ بروح المحاضرة ومعانيها.